منهج عبد القاهر الجرجاني في "درج الدرر في تفسير الآي والسور"

The Method of Abdul-Qahir al-Jurjani in "Darj al-Durar fi Tafsir al-Ayat wa al-Suwar"

وفاء دميس*

جامعة باجي مختار– عنابة

صندوق بريد 12 – عنابة 23000

ouafa.damis@univ-annaba.dz

عبد السلام شقروش

جامعة باجي مختار– عنابة

صندوق بريد 12 – عنابة 23000

abdessalam.chegrouche@univ-annaba.dz

تاريخ الاستلام:25-01-2026 تاريخ القبول:05-05-2026 تاريخ النشر:09-06-2026

ملخص:

نهدف في البحث إلى دراسة تفسير القرآن، من حيث الكشف عن آليات وقواعد المنهج لعبد القاهر الجرجاني، الذي أسّس من خلاله نظريته في النظم، و ترجمها كتابه "دلائل الإعجاز"، وفسّرها إعجاز القرآن الكريم؛ حيث أنّ دراسة الإعجاز تقوم على النظم وترتبط به، وقد فسّر القرآن الكريم تفسيراً شاملاً في كتاب له أسماه "درج الدرر في تفسير الآي والسور" من أول سورة إلى آخر سورة، مستخدماً منهجه النحوي البلاغي المتمثل في نظرية النظم.

الكلمات المفتاحية: منهج؛ نظرية النظم؛ "درج الدرر"؛ قرآن كريم.

Abstract

The research aims to study the exegesis of the Qur'an by exploring the mechanisms and principles of Abdul-Qahir al-Jurjani's method, which established his theory of "Nadhm" (composition), as articulated in his book "Dala'il al-I'jaz." This theory explains the miraculous nature of the Qur'an, with the study of its miraculous aspects based on and related to "Nadhm." Al-Jurjani provided a comprehensive interpretation of the Qur'an in his book "Darj al-Durar fi Tafsir al-Ayat wa al-Suwar," covering the entire text from the first surah to the last, employing a grammatical and rhetorical methodology embodied in the theory of "nadhm.

KeyWords: method; theory of "Nadhm"; Darj al-Durar; The Holy Quran.

المقدمة:

يُعَدُّ عبد القاهر الجرجاني عالم اللغة، وإمام النحاة الذي أثر في علوم اللغة تأثيراً بالغاً، خاصّة علمي النحو والبلاغة اللذان ربط العلاقة بينهما حين ربط بين علم النحو وعلم المعاني لتأسيس نظريته المعروفة به، وأسماها "النظم"، وهي التي تكوّن منهجه (النحوي البلاغي) والذي فسّر من خلاله القرآن الكريم. وعليه فهذا البحث هو إجابة عن الأسئلة الآتية: ما هي أسس مكونات منهج عبد القاهر الجرجاني؟ وما هي طريقة تفسيره؟ وكيف ربط بين النحو والبلاغة؟ وما هو منهجه الجديد؟

I. عبد القاهر الجرجاني وتفسيره:

نتناول هنا ترجمة موجزة لعبد القاهر الجرجاني، وملخصا لتفسيره.

1. عبد القاهر الجرجاني:

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، الإمام اللغوي والنحوي المشهور، وواضع أصول البلاغة، فقيه شافعي، متكلم أشعري، فارسي الأصل، جرجاني "المولد والوفاة" (**نويهض، 1983، صفحة 295**). نشأ وتربى في جرجان، وهي مدينة تقع بين طبرستان وخراسان (**مخيمر، 1983، صفحة 15**).

كان ولوعًا بالعلم؛ فأسس نفسه تأسيسًا علميًا متينًا، من خلال تردده على مجالس العلماء في بلدته، وكان واسع التحصيل، يقرأ الكتب بفهمٍ واعٍ وبصيرة نافذة، وأخذ العلم عن أستاذه"أبي الحسين محمد بن الحسن بن عبد الوارث الفارسي النحوي" الذي أخذ العلم عن خاله "أبي علي الفارسي" النحوي المشهور، صاحب كتاب "الإيضاح"، الذي وضع الجرجاني عليه شرحًا بلغ ثلاثين مجلدًا. وأستاذه الآخر"أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني"، الذي ألّف كتابه الشهير" الوساطة بين المتنبي وخصومه"، وتتلمذ كذلك على يد "سيبويه عالم النحو الجليل، وأبي هلال العسكري البلاغي، الناقد، الأديب، وأبي علي الفارسي عالم اللغة والمعاجم، وابن قتيبة مؤرخ الأدب والفقيه العالم، و قدامة بن جعفر الناقد وغيرهم" (**الجرجاني ، 1990، صفحة 08**).

وبفضل هؤلاء الأساتذة المشهورين نمت موهبته، وتمكن من علوم اللغة جميعًا؛ فهو النحوي، البلاغي، واللغوي، والأديب، والناقد فائق عصره وزمانه، وبعدما صار إمامًا في اللغة، فقد تبحّر في شتى المعارف والعلوم، وتتلمذ على يديه على سبيل المثال لا الإحصاء: "علي بن زيد الفصيحي، وأبو زكريا التبريزي، وأبو عامر الفضل بن إسماعيل التميمي الجرجاني، وأبو النصر أحمد بن محمد الشجري" (**بلعيد، 1994، صفحة 10**). وغيرهم.. وقد انتقل عبد القاهر الجرجاني(رحمه الله) إلى جوار ربه، كما ذكر في جميع تراجمه في سنة 471.

خلّف عبد القاهر الجرجاني إرثًا قيّماً، في اللغة والنحو والأدب والنقد والقرآن، و عُرف بكتابين في غاية الأهمية تناولهما الدارسون والباحثون منذ عصور مضت وإلى اليوم، بالدرس والبحث والتأليف، والشرح والتلخيص لما فيهما من أهمية بالغة؛ وبخاصة كتابه المشهور: "دلائل الإعجاز"، و"أسرار البلاغة"، وخاصّة تفسيره:" درج الدرر في تفسير الآي والسور".

2- تفسير الجرجاني:

يعدُّ "درج الدرر" تفسير شامل لكتاب الله العزيز، وهو صحيح النسبة إلى الجرجاني حُقِقَ ونُشِرَ في أربعة أجزاء، من أول سورة (الفاتحة)، إلى آخر (سورة الناس)، مُتَبّعًا ترتيب المصحف الشريف، الجزء الأول تفسير سورتي الفاتحة والبقرة، وهو موضوع رسالة الماجستير للدكتور وليد بن أحمد بن صالح الحسين، أمّا باقي المجلدات الثلاث فهي رسالة الدكتوراه الخاصّة به، وقد ساعده في التحقيق الدكتور إياد عبد اللطيف القيسي، و كان مخطوطا لزمن، منذ القرن الخامس الهجري، إلى غاية عصرنا الحاضر سنة أول تحقيقه سنة 2008.

و أشار وليد بن أحمد بن صالح الحسين، عند تحقيقه لتفسير "درج الدرر"، أنّه حُقق قبله رسالة دكتوراه؛ لكنّه لم يطّلع على هذه الرسالة، ولم يذكر عنوانها، يقول عن تفسير" درج الدرر": "قُدّمَ كرسالة دكتوراه في جامعة مانشستر في بريطانيا للباحث عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب عام 1990م، وهو من الأردن وأنا لم أطلع على هذه الرسالة، وهذه المعلومة ذُكرت في نشرة أخبار التراث العربي الصادرة عن جامعة الدول العربية عام 1990 في عددها (44) صفحة (21)" (**الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور، صفحة 09**).

وبحثنا عن الرسالة ولم نجدها، ويبدو أنّها بقيت مخطوطة في جامعة مانشستر. ووجدنا تحقيقا آخر لكتاب" درج الدرر" لباحثين آخرين مع تغيير طفيف في العنوان، عن هذا الذي بين يدينا، اسمه" درج الدرر في تفسير القرآن العظيم" للباحث طلعت صلاح فرحات، ومحمد أديب شكور، عن دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، 2009، بالمملكة الأردنية الهاشمية، عمّان؛ جاء في مجلدين، والمطّلع على تفسير "درج الدرر في تفسير القرآن العظيم" يجد أنّ المحققين "طلعت فرحات وأديب شكور أغفلا ذكر تحقيق هذا التفسير، لأنّ هذا التفسير الذي حُقق من طرف وليد بن الحُسين وإياد القيسي بعنوان" درج الدرر في تفسير الآي والسور" أسبق من تفسير "درج الدرر في تفسير القرآن العظيم" بسنة، و تفسيره، لم يصل إلينا إلا بعد قرون عديدة، ولم يذكره إلا قليل من المؤرخين عبر التاريخ، ووجدنا من بين ممن ترجم له من كُتَّاب المعاجم، عادل نويهض في "معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر "حيث ذكر أنّ له تفسير، يقول عنه:"عارفٌ بالتفسير، ومن كتبه "تفسير الفاتحة" في مجلد، وذكر له صاحب هدية العارفين كتاب" درج الدرر في تفسير الآي والسور" قال صاحب كشف الظنون: "مختصر" (نويهض، 1983، صفحة 295)، وذكره "الأدنروي" في "طبقات المفسرين" أنّه:" صنّف التفسير" (**الأدنوي، 1997، صفحة 133**)، لكنّه لم يذكر اسمه، وذكره كل من إسماعيل باشا البغدادي في كتابه: "هدية العارفين"،(606/1) -كما صرح- نويهض،-أعلاه-، وبروكلمان في كتابه "تاريخ الأدب العربي" (206/5). والداوودي، في "طبقات المفسرين"(133/1). إلا أنّ الذهبي صاحب التفسير والمفسرون، لم يذكر أنّ ل"عبد القاهر الجرجاني" تفسيرًا.

يحتوي تفسير" درج الدرر" مادة علمية رصينة، وكم هائل من الإشارات النحوية، والبلاغية، واللغوية الطاغية على مادته، و كذا التفسيرات المعجمية والدلالية، مما جعله تفسيرًا متكاملًا؛ فهو تفسير احتوى القرآن الكريم كلّه من أول سورة إلى آخر سورة؛ وقد اعتنى "عبد القاهر الجرجاني" بتفسير المفردات تفسيرًا مختصرًا مجتنبًا الإسراف

والإطالة، فيفسّر الكلمة بكلمة أخرى أو بشكل مختصر، ونراه يُبسّط مادته نحويًا وبلاغيًا وموضوعيًا ومعجميًا ولغويًا، وقد تتبع ما جاء به نحاة الكوفة والبصرة، وتفسير الصحابة والتابعين، واعتمد على تفسير" الطبري" وغيره من النحاة، والمفسرين.

يقول محقق المجلد الأول: "أبدع عبد القاهر الجرجاني في تبسيط هذه العلوم والفوائد بشكل مختصر ومبسط(...)كما نثر فيه الكثير من الأحكام الفقهية مجليّا فيها الحلال والحرام في آيات الأحكام، ومظهرًا ميوله للمذهب الشافعي الذي ينتمي إليه، كما أنّه لم يغفل ذكر الكثير من الجوانب التاريخية واستعراض الكثير من الأعلام مستشهدًا بأقوالهم باختلاف تخصصاتهم، ثم نراه يستعرض محلّلا ومعلّلا ومدلّلا الكثير من المسائل العقدية التي تظهر لنا ميوله الأشعري الذي ينتصر له في تلك المباحث سِيَمَا في آيات الصفات." (الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور، صفحة 06) وهذا باختصار ما اعتمد عليه" عبد القاهر الجرجاني" في ثنايا تفسيره.

II. منهج عبد القاهر الجرجاني في تفسيره:

قبل البدء في التعريف بأسس منهج عبد القاهر الجرجاني في تفسيره، نعرّف المنهج في المعجم العربي وفي الاصطلاح العلمي، وكذا المقصود بمصطلح "مناهج المفسرين".

1. التعريف بالمنهج:

1.1. في المعجم العربي:

كلمة المنهج مشتقة من المادة الثلاثية "نهج"، التي جاء في تعريفها:

-عند ابن فارس، يقول:" النَّهْجُ، الطّريقُ. ونَهَجَ لي الأمرَ: أَوْضَحَهُ. وهو مستقيم المنهاج. والمنهجُ: الطَّرِيقُ أَيْضًا، والجمع المناهج." (ابن فارس، د.ت، صفحة 361)

-عند ابن منظور:"نهج، طريقٌ نهجٌ: بَيّنٌ واضِحٌ، وهو النَهْجُ. ومنهج الطَّريق: وَضحُهُ. والمنهاج: كالمنهج. وفي التنزيل:{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}، وأنهج الطّريقُ: وَضَحَ واستبانَ وصَارَ نَهْجًا واضِحَا بَيّنًا. والمنهاجُ: الطّريقُ الواضحُ. وفُلانٌ يستنهجُ سَبيلَ فُلانٍ، أي يسلكُ مسلكه، والنّهجُ الطريقُ المستقيمُ." (ابن منظور ، د.ت، صفحة 4555).

يتّضح لنا من خلال هذه التعريفات، أنّ المنهج هو الطريقة الواضحة المثلى التي يجب اتّباعها. وتُستعمل في البيان والوضوح، وقد تماثل مصطلحا المنهج والمنهاج في مفهوم واحد وهو الطريق الواضح البيّن المستقيم.

1. 2. في الاصطلاح العلمي:

يُعَرَّفُ المنهج بأنّه الطريقة التي يتبعها الباحث في كتابة بحثه، وهو مجموعة الوسائل والإجراءات التي يعمل على تحقيقها وفق خطّة ممنهجة ليستقيم بحثه وفق ما تنصّ عليه البحوث العلمية والأكاديمية، ونفس الشيء بالنسبة لمؤلف كتاب أو أي باحث وعالم بصدد إنجاز بحث، و كذا نفس الأمر بالنسبة لمفسّر القرآن؛ فالمنهج باختصار هو الخُطة المرسومة في إعداد منجز، كتاب كان أو بحث، واهتمّ جَمْعٌ من العلماء والدارسين بدراسة المنهج وأهميته، وفرّقوا بين مصطلحاته كالمنهاج والمنهجية، والمصطلحات المماثلة له كالخطة والطريقة والاتجاه.

1. 3. تعريف مناهج المفسرين:

يهمنّا معرفة المنهج الذي يتّبعه المفسّر في تفسيره، أو ما يُطلق عليه بمصطلح **"مناهج المفسرين"** الذي اهتم به عدد من الدارسين المحدثين، من بينهم "صلاح عبد الفتاح الخالدي" الذي أنجز كتابًا خصصّه للتعريف بمناهج المفسرين، بعنوان:"تعريف الدارسين بمناهج المفسرين"، وعنى فيه عناية تامّة بمناهج المفسرين بمختلف أنواعها، وتأثر به"منصور كافي" في كتابه: "مناهج المفسرين في العصر الحديث"، يقول الخالدي:" (مناهج المفسرين) هو: الخُطَطُ العلمية الموضوعية المحدّدة التي التزم بها المفسّرون في تفاسيرهم للقرآن الكريم، هذه الموضوعية لها قواعد وأسس منهجية مرسومة، ولها طرق وأساليب وتطبيقات ظهرت في تفاسيرهم." أمّا"(منهج المفسّر): هو الخُطة المحدّدة التي وضعها المفسر عند تفسيره للقرآن الكريم، والتي انعكست على تفسيره الذي كتبه، وصارت واضحةً فيه. هذه الخُطَةُ تقوم على قواعد وأسس، وتتجلّى في أساليب وتطبيقات." (الخالدي، 2002، صفحة 17).

فرّق" الخالدي" بين المنهج والطريقة بقوله:" لابدّ أن نفرّق بين المنهج والطريقة عند المفسرين، والمحدثين، والفقهاء، وعلماء العقيدة، وعلماء النحو، والمؤرخين، وغيرهم.

والمنهج هو: الخُطّة المرسومة المحددة الدقيقة، التي تتمثّل في القواعد والأسس والمنطلقات، التي تَعَرَّفَ عليها المفسّر، والتي انطلق منها في فهمه للقرآن الكريم، والتي التزم بها في تفسيره له، هذه القواعد والأسس كانت ضوابط له ولتفسيره، حَكَمَتْهُ وهو يتعاملُ مع كتاب الله ويفهمه ويفسّره، فلم يخالفها، ولم يخرج عنها. أمّا الطريقة: فهي الأسلوب الذي سلكه المفسّرُ أثناء تفسيره لكتاب الله، والطريقُ عرض تفسير كتاب الله من خلالها." (الخالدي، 2002، الصفحات 17-18).

يوضّح هذا الفرق بين المصطلحين، أسلوب كلّ منهما فالمنهج في استعماله أشمل وأعمق من الطريقة، لأنّ الطريقة هي اللَبِنَةُ التي يتبنّاها المفسّرُ في ضبط منهجه في التفسير، والأسلوب الذي يتماشى وفقه المنهج. ولكل مفسّر طريقته التي يستخدمها في تفسيره؛ فنقول مثلا: طريقة الطبري في التفسير، طريقة الزمخشري، وهي غير المنهج.

1. 4. التعريف الإجرائي:

ونختار تعريف المنهج متمثلا في:" المنهج هو الطريقةُ المسلوكة أو المتبعة أو المأخوذ بها... وعلى ذلك نقول: منهج فلان في التفسير، أي الطريقة التي، أي الطريقة التي وضعها واتّبعها، أو وضعها غيره واتّبعها هو، ومن أَلَّفَ تفسيرًا ولم يبيّن لنا منهجه فإننا نستطيع أن نتأمله فنعرفه، وإذا ظهر لنا أنّ أحدًا ألّف ولم يتبع طريقة محدّدة ولا ترتيبًا معيّنًا لمعلوماته وساقها خبط عشواء لا توافق طريقة من طرائق التفسير التي تُعرفُ عادة من كتب التفسير أو من كتب علوم القرآن،(...) فإننا نقول عنه أن منهجه الخبط وعدم الترتيب، وأنه لا منهج له، وهو منهج غير علمي...هذا ولا يجوز أن ننسب المنهج إلى التفسير، فنقول منهج تفسير فلان، أو منهج التفسير عند فلان، وقد تتبعُ جماعة منهجًا، فتنسب إليهم، و نحددهم بما نحددهم به، فنقول مثلا: منهج التفسير في القرن الأول، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير- وهكذا." (عبد الغفور، 2012، صفحة 339) ونستطيع القول، أنّ منهج

التفسير هو الخطة والطريقة التي يتبعها كل مفسّر في تفسيره للقرآن الكريم، وهذا ما ساهم في ظهور ألوان، وأنواع من مناهج تفسير القرآن الكريم، على مدى العصور.

2. أسس منهج عبد القاهر الجرجاني في تفسيره:

اعتمد على أسلوب بسيط ووجيز ومختصر، يسهل على دارس القرآن وتفسيره، فهمه وتحصيله، وعباراته موجزة، يفسّر المفردات بمثلها، أو بجملة موجزة عن المعنى بدقة، أطال في مسألة أو اثنتين تستدعي الشرح، وتفرّد في مسائل أخرى كتفسيره كلمة "مالك" مثلا من سورة الفاتحة: {مَالِكِ يَوْمِ الدّينِ} (الفاتحة:4) بالقاضي؛ إذ لم نرى أحدٌ من المفسرين غيره فسّرها بهذه الكلمة...

وقد تتبع تفسير من سبقه من المفسرين، معتمدًا التفسير بالنقل عن الصحابة والتابعين، وذلك باعتماده أسلوب:

2. 1. تفسير القرآن بالقرآن:

يفسر الآية بمثلها من آيات القرآن، ويغلب هذا النوع من التفسير على مجمل مادة الكتاب، أمثلة ذلك: قوله تعالى في سورة الفاتحة:{رَبُّ العَالمينَ} (الفاتحة:2)، قال في تفسيرها:" الربُّ: السيّد والمولى، قال يوسف عليه السلام: {اُذْكُرْنِي عِنْد رَبّكَ}(يوسف: 42)، وقال: {اِرْجعْ إلى رَبّكَ} (يوسف:50) وربما يُرادُ به المالك...." (الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور، الصفحات 84-85).

وقوله تعالى أيضًا: {غَيْرِ المغضُوبِ عَلَيْهِمْ} (الفاتحة:7)، قال الجرجاني في تفسيرها:" وهم اليهود، لقوله تعالى في شأنهم:{فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ} (البقرة:90)، {ولا الضَّالينَ}: النصارى، لقوله تعالى: {ولا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبيل} (المائدة:77) وغيرها من الأمثلة كثير..

2.2. تفسير القرآن بالسنة:

ويتمثل ذلك في تفسير القرآن بما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما جاء في قوله تعالى:{وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ} (البقرة:95) قال الجرجاني في تفسيرها: "كان حكم هذا التحدي في الآية السابقة حكم التحدي للمبالغة مع النصارى. قال عليه السلام: والذي نفسي بيده، لو تمنّى أحدهم لَغَصَّ بريقه" (الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور، صفحة 235) .

وقوله تعالى في سورة النصر: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ الله والفَتْح} (النصر:1) قال الجرجاني في تفسيرها:" قال النبي عليه السلام:" نعيت نفسي، فإني مقبوض في تلك السنة" (الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور، صفحة 1773). وغيرها من الأمثلة كثيرٌ جدًا.

2. 3. تفسير القرآن بالمأثور:

يفسّر "عبد القاهر الجرجاني" آيات القرآن الكريم بما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم، وعلى رأسهم" ابن عباس"، والتابعين، أمثال مجاهد بن جبر، وعكرمة، وغيرهم.. و أقوال العرب؛ وقد أكثر من الشعر، وذلك واضح في تفسيره بشكل كبير. ومن أمثلة ذلك نذكر قوله تعالى: {آلَمَ} (البقرة:1) يقول الجرجاني في تفسيرها:" قال ابن

عباس رضي الله عنه: الألفُ: الله، واللام: جبريل، والميم: محمد، أي: بعث الله جبريل إلى محمد بالقرآن." (الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور، صفحة 91) وفي الآية التي بعدها من نفس السورة، قوله تعالى: { ذَلِكَ الكِتَابُ} (البقرة:2) ، قال الجرجاني:" أي: هذا القرآن، عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والسُّدّي، وابن جريج، ومحمد بن جرير الطبري، وإنّما سُمّي القرآن كتابًا لما جيء فيه من الأمر والنهي والقصص والمواعظ والوعد والوعيد. وكل شيء جمعته فقد كتبته." (الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور، الصفحات 92-93-94) والأمثلة عديدة جداً، أمّا عن التفسير بأقوال الشعراء، فنورد مثالا من بين الكثير من الأمثال، قوله تعالى:{ بَدِيعُ السَّمَاواتِ والأرْض} (البقرة:117) جاء في تفسيرها:" فعيلٌ المفعل كالسّميع والأليم، قال (الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور، صفحة 279) [1]:

أَمِنْ رَيحانةِ الدَّاعي السَّميع يؤرقني وأصحابي هُجُوع."

هذا وغيره من الأمثلة كثيرٌ جدًا، ممّا لا يُعَدُ ولا يُحصى، والخلاصة أنّ منهج عبد القاهر الجرجاني في تفسيره" درج الدرر "لا يختلف عن منهج بقية المفسّرين، منذ ظهور التفسير إلى عصر الجرجاني (القرن الخامس الهجري)؛ إذ يتميّز تفسيره بخاصية النقل أو –كما يطلق عليه–التفسير بالمأثور عن ما جاء عند السلف، وبالإضافة إلى ما عرفناه في منهج تفسيره، نجده قد أكثر من الحديث عن أسباب النزول؛ فلا توجد آية تقريبًا في تفسيره، إلّا وقد تحدث في سبب نزولها، مثال ذلك قوله تعالى:{إنَّ الَذِينَ كَفَرُوا} (البقرة:6)، يقول الجرجاني في سبب نزولها:" نزلت في شأن شيبة وعُتبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة الذين قتلهم يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وقيل: نزلت في شأن سبعة نفرٍ من اليهود: كعب بن الأشرف و حُيَيْ وجُدَيْ ابني أَخْطَبْ وسعية بن عمرو ومالك بن الصّيفْ وأبي لبابة بن المنذر وأبي ياسر بن أخطب." (الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور، الصفحات 97-98-99) فضلاً عن ما احتواه التفسير من جوانب نحوية طغت على مادة الكتاب بشكل كبير جدا، وكذا الجوانب الصرفية واللغوية والمعجمية (الدلالية) من تفسيره للمفردات مثال: (العبادة: الديانة)، والبلاغية التي برع فيها، إلا أنها قليلة بالنسبة للجوانب النحوية التي تخللها الإعراب والشرح والتفصيل في كل آية من آيات القرآن الكريم.

واعتمد" الجرجاني" كذلك في هذا الكتاب على عدد غير قليل من النحاة واللغويين والعلماء والمؤرخين السابقين، أمثال: الطبري(ت310هـ) وهو مشهور، وابن عرفة (العلامة المعروف بنفطويه، واسمه ابراهيم بن محمد بن عرفة(ت323هـ)،والزّجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السّري بن سهل (ت311 هـ)، والعلّامة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت276هـ)، وأبي حاتم السجستاني (ت248هـ)، والأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي البصري، إمام النحو(ت215هـ) وغيرهم من اللغويين والنحاة، أصحاب كتب المعاني واللغة والنحو والقراءات.

[1] – هو الشاعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي أبو ثور، أسلم سنة تسع ثم ارتدّ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أسلم وشهد الفتوح وقُتل يوم القادسية، وقيل: في وقفة نهاوند سنة(21هـ) والشعر في ديوانه(136.).

هذا عن ما جاء في تفسيره، وسنتطرق إلى منهجه الجديد الذي فسّر من خلاله القرآن الكريم، ذلك المنهج الفريد المتمثل في نظرية النظم، الذي أسسّه "عبد القاهر الجرجاني"، وكوّن من خلاله منهجه الجامع بين النحو والبلاغة.

3. المنهج النحوي البلاغي عند الجرجاني:

3. 1. المنهج النحوي:

ظهر هذا المنهج مع بداية تفشي اللحن في القرآن الكريم، بدخول الأعاجم في الإسلام وخلط اللسان العربي؛ إذ نشأ النحو العربي أساسًا لخدمة القرآن الكريم ولصونه والحفاظ عليه. وقد اعتمد النحاة في هذا المنهج على مجموعة من الآليات التفسيرية اللغوية انطلاقا من فكرة الاتفاق بين النصوص الفصيحة والقواعد النحوية، فتشكلت حينها البدايات الأولى للتأويل النحوي الذي شكل ظاهرة نحوية في تراث النحويين والمفسرين من أصحاب هذا الاتجاه. يقول عبد العال سالم مكرم:" ونشأة النحو العربي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالقرآن الكريم ولولا هذا القرآن لما نشأ هذا العلم الذي تمت له السيطرة فيما بعد على كل علم من علوم العربية وآدابها." (عبد العال ، 2006، صفحة 45).

كان علماء اللغة والنحاة والمفسرين العرب يدرسون النحو العربي وفق الكتاب المنزل(القرآن الكريم) فكانوا يفسّرون القرآن الكريم بالاعتماد على التوجيهات النحوية والإعرابية.

يقول ابن عاشور:" كان النّحو في وضعه المقنّن المقعّد مادة ضرورية للتفسير يُعتمد عليها في تحليل التركيب القرآني، وبيان مواقع المفردات بعضها من بعض، وما استقرّ فيها من روابط الإعراب." (ابن عاشور، 2008، صفحة 36).

والمنهج النحوي هو مجموع الآليات والاستدلالات، والقواعد النحوية التي اعتمد عليها النحاة واللغويون في تفسيرهم للقرآن الكريم. وهو تلك الطرق الاستدلالية التي اعتمدها اللغويين والنحويين في استخراج القواعد اللغوية، ويشكل النحو بالنسبة لتفسير القرآن الكريم أهمية بالغة "ومرتكزاً أساسياً لمن أراد تفسير القرآن وفهمه فهماً صحيحاً، إذ إنّ بمعرفة إعراب الكلمات وموقعها في الجملة يمكّن القارئ من فهم الآيات القرآنية فهماً صحيحاً سليماً، ولاشك في أن علم النحو مهم في التمييز بين معاني الكلمات ودلالاتها المختلفة باعتبار تغيّر حركاتها ومواقعها الإعرابية، وأمثلة ذلك كثيرة، منها ما يأتي، قوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عباده العلماءُ). إذ أن المعنى يختلف بتغير حركة الكلمة، فلو قلنا "إنّما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ" لكان المعنى مختلفاً وفاسداً تماماً، فهو من الكفر والعياذ بالله." (أمامة ، 2022).

وظهرت عدّة مصنفات صُنّفَتْ في تفسير القرآن الكريم من وجهة نظر نحوية، وعُرفت تلك المصنفات التفسيرية بمعاني القرآن وإعرابه والتي كان الإعراب فيها متداخلا مع معاني القرآن باعتباره أداة من أدوات فهم المعنى القرآني، أشهرها: كتاب الكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.

3. 2. المنهج البلاغي في التفسير:

ظهرت البلاغة كغيرها من العلوم اللغوية والأدبية التي سبقتها خدمة للقرآن الكريم "فإنّ من أهم الأسباب التي دفعت العلماء العرب إلى الخوض في الدراسات البلاغية هو خدمة القرآن الكريم؛ لكي يقفوا على سرّ إعجازه، ويفهموا آياته، وأسلوبه. و ليستنبطوا الأحكام منه، مُستعينين بفنون البلاغة على فهم معاني القرآن الكريم، ما ظهر منها، وما بطن، لأنّ البلاغة تُعين على البيان، وتساعد على الفَهم، وتُرشد إلى توضيح المقاصد، وإظهار المعاني الكامنة في النفوس في أحسن صورة، والمعرفة بعلوم البلاغة تمنع من سوء التعبير، وسوء الفهم." (الحلفي، 2012، صفحة 15).

وإنْ كانا علما اللغة والنحو أسبقا ظهوراً، فقد كان الدافع الرئيسي لظهور علم البلاغة بيان أوجه الإعجاز في القرآن الكريم. وذلك مع ظهور نظرية إعجاز القرآن، التي تبنّاها الباقلاني وعبد القاهر الجرجاني والرُمّاني وابن سنان الخفاجي وغيرهم من علماء البيان والبلاغة والإعجاز.

واهتمّ العلماء والمفسرين الذين فسّروا القرآن من وجهة بلاغية بالمنهج، وإن كانت ظروف النشأة التي نشأ خلالها البحث البلاغي لم تستقر على منهج مميّز يتبناه المفسرون في تفاسيرهم، إلا بعد زمن استقرّ فيه البحث البلاغي واستقلّ بمنهج تفسير محدد. ويُعرّف المنهج البلاغي بأنّه: "المنهج الذي تدور مباحثه حول بلاغة القرآن في صوره البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل ووصل وفصل وما يتفرع من ذلك من استعمال حقيقي أو استخدام مجازي أو استدراك لفظي، أو استجلاء للصورة أو تقويم للبنية، أو تحقيق في العلاقات اللفظية والمعنوية أو كشف الدلالات الحالية والمقالية. والبحث في هذا الجانب يُعَدُ بحثا أصيلا في جوهر الإعجاز القرآني ومؤشرا دقيقا في استكناه البلاغة القرآنية. ومن أشهر مفسري هذا الفن هو أبو عثمان الجاحظ (ت :255هـ) في كتابه (نظم القرآن)، والشيخ عبد القاهر الجرجاني(ت:471هـ) في كتابيه: "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، فالجرجاني عالم واسع الثقافة مرهف الحس، متوقد الذكاء، وقد استخدم ذلك في استنباط الأصول الاستعارية والأبعاد التشبيهية، والمعالم المجازية لآيات القرآن الكريم وأخضعها باعتبارها نماذج حية للتطبيق العلمي. إلا أن ظهور جار الله الزمخشري (ت:538هـ) فتح لنا عمق دراسة جديدة في البلاغة القرآنية التطبيقية، انتظمت على ما ابتكره عبد القاهر الجرجاني، وما أضافه من نكت بلاغية، ومعان إعجازية فعاد تفسيره" الكشاف" كنزا من المعارف لا تنتهي فرائده" (الصفار، 2000، الصفحات 37-38).

ويتضح لنا أنّ المنهج البلاغي انتظم مع عبد القاهر الجرجاني، ومن جاء بعده من المفسرين وعلماء البلاغة؛ إذ كانت نظريته التي تجلّت في كتابيه المذكورين وخاصة في كتابه" دلائل الإعجاز" البرهان الساطع في ظهور منهج فريد من نوعه لم تعرفه الدراسات قبله، وذلك المنهج جامع مزيج بين البلاغة والنحو اللذان عُرفا بهما وانتظمت من خلالهما نظريته في النظم.

3.3. المنهج النحوي البلاغي:

هو المنهج الذي يجمع بين علمي النحو والبلاغة، أي أنّ المفسّر يستخدم في تفسيره آلية وأسلوب كلا العلمين. وعلى مستخدم هذا المنهج إتقان النحو والبلاغة ببراعة، وأن يكون محيطًا إحاطة تامّة بأساليب وخصائص النحو من جهة، والبلاغة من جهة أخرى.

ويُعَدُّ "عبد القاهر الجرجاني" رائد هذا الاتجاه؛ إذ جاء عند الدارسين المحدثين، ممّن درسوا جهود عبد القاهر الجرجاني، أنّه صاحب فكرة ربط النحو بالبلاغة. وذلك جليّ في كتابه" دلائل الإعجاز" وكتابه" أسرار البلاغة" حينما "أتى عبد القاهر فوجد عامة المحدثين والفقهاء قد زهدوا في النحو لما وجدوه ممزوجا بالمنطق، وهجروه لما عز عليهم الاستفادة منه، فوجه إليهم اللوم والعتاب، وذهب إلى أن من يصد عن تعليم النحو فهو صاد عن سبيل الله، إذ إن إعجاز القرآن الكريم بالنظم، وما النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله. والتركيب النحوي له معنى أوّل يدل عليه ظاهر الوضع اللغوي، وله معنىً ثانٍ، ودلالة إضافية تتبع المعنى الأول، وهذا المعنى الثاني، وتلك الدلالة الإضافية هي المقصد والهدف في البلاغة، وقد جهد عبد القاهر في سبيل هذا الهدف، وشقي في الوصول إلى ذلك الغرض، حتى خرج بقاعدة لا تختلف، وقانونٍ لا يقبل النقض، وهو أن دقة النظم، والبلاغة، والبراعة، والبيان، كامنةٌ في معاني النحو، ومطوية في التركيب اللغوي." (لاشين، 2014، صفحة 04).

أسّس عبد القاهر الجرجاني بهذا منهجًا جديداً، خالف به سابقيه، وقد أرسى دعائمه وأسسه في كتابه "دلائل الإعجاز"، وخرج بدراسة النحو والبلاغة إلى اتجاه جديد عُرف به، وتخطّى به سابقيه من النحاة واللغويين، وحتى المفسرين؛ فاللغويين والنحاة السابقين خلطوا النحو بالمنطق عندما تأثروا به خاصّة في القرن الرابع الهجري، وعبد القاهر جاء بعدهم في القرن الخامس الهجري؛ فعمل على الخروج من ذلك الاتجاه الذي أدّى بالنحو إلى الانحراف عن الطريق وجعله درسا ليس فيه من سمات النحو واللغة إلّا مظهرا شكليا. يقول عبد الفتاح لاشين: "بعد أن بين عبد القاهر لهؤلاء المنحرفين خطأهم، وأظهر لهم انحرافهم، وبين لهم موضع الداء، أخذ يصف لهم الدواء، ويوضح لهم الطريق السليم، والمنهج الواضح للاستفادة من علم النحو–وهو منهج يختلف عن منهجهم، واتجاه يخالف اتجاههم، وفهم عَزُبَ عن فهمهم، حيث أعطى للتراكيب النحوية معطيات حية، وولّد منها حياة جديدة، وأضاف إليها ألوانا من الدلالات، وأصباغا من المعاني، أعادت إلى النحو الحياة، ولمسائله البقاء، كما استخدمه في تحليل النصوص، وجعله المعيار السليم لإظهار وجوه المعاني في الكلام، وطرائق البيان في التركيب، ونظرة في أي فصل من فصول كتابه تعطينا صورة مشرقة لفكره واتجاهه الفريد." (لاشين، 2014، صفحة 65).

وتبنّى نفس الفكرة والاتجاه من بعده "الزمخشري" في كشافه، وعلماء محدثين ومعاصرين، أمثال إبراهيم مصطفى في كتابه" إحياء النحو"، ومهدي المخزومي في كتابه" في النحو العربي–نقد وتوجيه"، وحسن عون في كتابه "تطور الدرس النحوي" ومحمد عيد في كتابه "في اللغة ودراساتها"، وأهمهم تمام حسّان في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" الذي حاول من خلاله ربط النحو بالبلاغة من خلال نظريته الجديدة" نظرية تضافر القرائن".

وانصب اهتمام الباحثين والدارسين في العصر الحديث إلى يومنا هذا بمنهج "عبد القاهر الجرجاني" ونظريته التي أسّسها في كتابه؛ وموضوع ربطه بين النحو والبلاغة، من بينها على سبيل المثال:

1- نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية (النحوية البلاغية) والبنيوية الوظيفية في النقد الأدبي، لجعفر دك الباب.

2-نظرية النحو الثاني في مفهوم عبد القاهر الجرجاني لعمار ربيح.

3-ملامح التجديد في منهج البحث البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني لفاتح حمبلي.

4-علاقة النظم بالنحو عند عبد القاهر الجرجاني لمحمد بن صالح...وغيرها الكثير.

الخاتمة:

وخاتمة القول، في منهج "عبد القاهر الجرجاني"، الذي أرسى أسسه الأولى بربطه النحو بالبلاغة، ونظّر له في كتابه "دلائل الإعجاز"، وقد وصل فيه بالنحو العربي إلى مراحل متقدمة لم يعرفها من قبل، فأصبح بهذا صاحب منهج جديد في المزج بين النحو والبلاغة، أطلق عليه مسمّى" نظرية النظم، إذ استطاع تجاوز علماء عصره، ومن سبقه في الخروج من دائرة العلة النحوية إلى علم المعاني، وتطويع تلك القواعد خدمة لتلك المعاني، وذلك للدفاع عن إعجاز القرآن الكريم في أسلوبه ونظمه، ونخلص إلى أنّ الجرجاني كان مجددا في النحو وفي المنهج عموما، لأنّه أول من وضع نظرية أسماها النظم و(نظرية التعليق) تحكمها ضوابط ومناهج محددة، وتميّز بأسلوبه الفريد في منهجه الجديد في البسط والإيجاز، في التفسير والتنظير والتحليل والتعليل والاستنباط.

قائمة المراجع:

1. أحمد بن زكريا أبو الحسين (ت 395هـ) ابن فارس. (د.ت). *مقاييس اللغة* (المجلد الخامس). د.ب: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
2. أحمد بن محمد الأدنوي. (1997). *طبقات المفسرين* (الإصدار الطبعة الأولى). المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية: مكتبة العلوم والحكم للنشر.
3. أمامة أسعد. (26 أكتوبر, 2022). *أهمية علم النحو في تفسير القرآن*. تاريخ الاسترداد 15 09, 2025، من موضوع (أكبر موقع عربي بالعالم): https://mawdoo3.com/أهمية_علم_النحو_في_تفسير_القرآن
4. سالم الصفار. (2000). *نقد منهج التفسير والمفسرين المقارن* (الإصدار الطبعة الأولى). دار الهادي للنشر والتوزيع.
5. صالح بلعيد. (1994). *التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية للنشر .
6. صلاح عبد الفتاح الخالدي. (2002). *تعريف الدارسين بمناهج المفرسين* (الإصدار الطبعة الأولى). دمشق: دار القلم للنشر.

7. عادل نويهض. (1983). *معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر*، (الإصدار الطبعة الأولى، المجلد المجلد الأول). مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر،.
8. عبد العال سالم مكرم. (2006). *القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية*. القاهرة، مصر: المكتبة الأزهرية للتراث والنشر.
9. عبد الغفور محمود مصطفى كعفر. (2012). *التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد* (الإصدار الطبعة الثانية). القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.
10. عبد الفتاح لاشين. (2014). *التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر*. القاهرة، مصر: دار الفكر العربي للنشر والتوزيع.
11. عبد القاهر الجرجاني . (1990). *الجمل في النحو*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية للنشر.
12. عبد القاهر الجرجاني. (بلا تاريخ). *درج الدرر في تفسير الآي والسور* (المجلد المجالد الأول). بريطانيا: سلسلة إصدارات الحكم.
13. فؤاد علي مخيمر. (1983). *فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز*. دار الثقافة للنشر والتوزيع.
14. محمد الفاضل ابن عاشور. (2008). *التفسير ورجاله* (الإصدار الطبعة الأولى). تونس: دار السلام للنشر والتوزيع.
15. محمد بن مكرم بن على أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور . (د.ت). *لسان العرب* (الإصدار د.ط، المجلد السادس). القاهرة: دار المعارف للنشر.
16. منصور مذكور شلش الحلفي. (2012). *مفهوم المعنى في التراث البلاغي عند العرب*. دميشق، سوريا: دار الأوائل للنشر والتوزيع.